مجلة الإحياء، المجلد: 18، العدد: 21، جوان 2018، ص - ص: 345 – 356
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

الأسرة المسلمة في ظل التحولات المعاصرة

The Muslim family in light of contemporary transformations

طالبة الدكتوراه: **سهيلة مقيدش**
كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة1
youbsaid14@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2018/04/20 تاريخ القبول: 2018/06/06

الملخص:
إن التربية مسؤولية كل واحد منّا، لأنها أمر ضروري، ولازم حتمي، وما التأكيد عليها أكثر، وإلقائها على عاتق الوالدين بشكل خاص، إلا لتنازل بعضهم عن هذه المسؤولية العظيمة، حيث أوكلوها لغيرهم وتملّصوا منها، بدعوى الانشغالات، خاصة ونحن في زمن الفتن والشهوات، وما دام الأمر قد توصّل إلى هذا الحدّ، فلا بدّ من الإسراع في تطبيق الحلول المستقاة من القرآن والسنّة في هذا المجال، علّنا نُحدث في التربية تجديدا، تطال أبعاده الأسرة والمجتمع ثم الأمة، وذلك بإعداد الأبناء في الأسرة، إعدادا إسلاميا صحيحا، ليكونوا عزّا للأمّة وفخرا للوطن.
الكلمات المفتاحية: الأسرة؛ المسلمة؛ ظلّ؛ التحوّلات؛ المعاصرة

Abstract:

Education is the responsibility of each one of us, because it is very necessary action, and t's prerequite and obligatory. We confirmed on it, and uploaded it to parents in particular; because some ones have waivered this great responsibility, where they entrust it to other ones and they gave up it, due to busyness. Especially in the time of strife and lusts, And as long as it has reached this limit, it is necessary to accelerate the application of solutions derived from the Koran and Sunnah in this area. In public, we are renewing education in a way that extends to the

family, society and then the nation, by preparing the children in the family, in a proper Islamic preparation, so that they will be a glory and a pride for the nation.

key words: Family, Islamic, the shadow, transformations, contemporary.

مقدمة:

قد يتطلع الإنسان للبحث عن نظريات تربوية، تهتم بتربيته وتهذيب أفعاله وانفعالاته وإعداد شخصيته إعدادا سليما وسويّا، لكن .. إلى أي مدى تستمر صلاحية هذه النظريات التربوية مقارنة بتطورات العصر وتغييراته الملحوظة، والمختلفة باختلاف الزمان والمكان والأحداث؟

إننا اليوم أفرادا وجماعات، بحاجة إلى تنوّع في الطرق التربوية المتَّبَعة، لأن ما نواجهه من تحدّيات العصر، أظهرت بأن هذه الطرق غير كافية لصدّ هذا التيار القوي، مما جعلها تقف عاجزة عن حل كل الإشكالات الواقعة والمتجدّدة، بل نحن في أشدّ الحاجة لنظرية شاملة وكاملة تغطي كل الاحتياجات والمتطلبات التربويةالمختلفة، دون أي نقص فيها ولا قصور.

من هذا المنطلق، نستطيع القول بأنه لا يمكن إدراك هذه الغاية الكبرى، ولا سبيل لإنجاح هذه العملية الصعبة، إلا بالعودة إلى التربية الإسلامية، المستقاة من مصادرها الأصلية، من كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم، باعتبارها المصدر الربّانيّ الأمثل والأصلح لكل زمان ومكان، ولكل فرد أينما كان، يقول تعالى: ﴿وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للعالمين﴾ (الإسراء 82)، لذلك، فمن غير الإسلام "ما من دين استطاع أن يقدّم للمؤمنين ما به سكينة النفس وطمأنينة القلب، ويحجب عنه الانحراف والاضطراب والتمزق والضياع، وتلك أبلغ مطالب الإنسان وأقوى تطلعاته، بل إن رفاهية الإنسان الحقة هي في إيمانه وسكينته وطمأنينة قلبه، وكرامته المثلى في أن يكون زاكيا فوق مطالب الأديان ودوافع الغرائز، وإذا كان هذا هدف الحضارة الحقة وأمل البشرية الأكبر،فإنه لن يتحقق إلا بالدّين والإيمان واليقين، وكل سبب من أسباب الطمأنينة والأمن والرضى منتزع من الإنسان بانتزاع نفسه من الدّين، .. ولقد جعل الإسلام للقيم سُلّما وأوليات وحصصا، وجعل ترتيب هذه القيم حسب أهميتها، هذه الأوليات والنسب تظلّ ثابتة، فإذا تغيرت فسدت المجتمعات

وأصابها الاضطراب، فلقد جعل التوحيد والعمل والجهاد والزكاة والعبادة في مقدمة سُلّم القيم، وجعل للجسم والمال والزينة والمتاع حصصا أيضا فلم يغفلها، ولكنه وضع لها مقاديرها وضوابطها، فإذا ذهبنا نقدم الرغبات والأهواء ضعفت نسبة الأعمال الكبرى وقلّ قدرها، وهنا تحدث الأزمات، أزمات النفس والمجتمع، فإذا عاد المسلمون إلى سُلّم القيم مرة أخرى عادت إليهم القوة والكفاءة."[1]

إذا كانت العودة إلى الكتاب والسنّة هي الملاذ الآمن، والحصن المنيع الذي يقينا من السقوط في هوّة الانحراف والضياع، ويعيد تشكيل التحديات بعد الأزمات، فلابد لنا من التعامل مع النص تعاملا صحيحا يضمن لنا أنجح الطرق التربوية، لاتخاذها منهجا يتم من خلاله ضمان جيل يمتاز بشخصية سويّة، كما يُكسبه حصانة إيمانية، ضد كل غزو فكري وأخلاقي وعقيدي وثقافي ...

إن من حق الأبناء أن يتلقّوا حظّا كافيا من التربية والرعاية الأسرية، باعتبار هذه الأسرة هي المكان الأول لإعداد الفرد إعدادا صحيحا يمكّنه من تحمّل المسؤولية واتّخاذ القرار، وجعله فردا يافعا نافعا لنفسه وأهله ووطنه.

لكن .. لو أمعنّا النظر قبل سنين في واقع مجتمعنا الذي يعج بهذه العيّنة من الأفراد الصالحين، مقارنة بالواقع الذي نحياه اليوم، نرى بونا شاسعا، وهوّة كبيرة يصعب التئامها، نظرا إلى بروز خلل كبير، مسّ بأخلاق أبنائنا وقيمهم وعاداتهم وتقاليدهم، وهذا يجعلنا نتساءل:

ما سبب هذه التغييرات والانحرافات والتفلتات الحاصلة؟

كيف يمكننا التعامل مع هذه التغييرات إذا ما استمرّ هذا الخلل وتفاقم؟

ما هو السبيل الراجح والمُعوَّل عليه، في ظل هذه التحوّلات المعاصرة؟

للإجابة على هذه الإشكاليات، لا بدّ لنا من أن نركّز على أول ما يُكَوِّن الفرد تربويا داخل أسرته، ألا وهما الوالدان، نظرا لدورهما الكبير والبارز في تنشئة الأبناء تنشئة صالحة وسويّة، تعتمد على تربيتهم وتعليمهم وفق الأصول الدينية الإسلامية، لإعدادهم إعدادا صحيحا وفعّالا يستطيعون من خلاله خوض غمار الحياة، ومواجهة المجتمع بشتّى مجالاته العملية والميدانية المتعدّدة.

لذلك سنقوم من خلال هذه الدراسة، إلى ربط الواقع المعاصر بمبادئنا الإسلامية لنتمكّن من استخلاص الحلول الصائبة لمشاكلنا التربوية خاصة، علّنا بتطبيقها نتخطّى هذه العقبات، ونصل إلى برّ الأمان، لذلك، لا بد لنا أن نتعرّف على الأسرة كما أرادها الإسلام، ثم نضع يدنا على الحال الذي آلت إليه أسرنا اليوم، ثم

بعدها نبيّن الأسرة المثالية التي نرجوها،ونتطلّع إلى الحصول عليها مستقبلا.

الأسرة كما أرادها الإسلام

لما كانت التربية مهمّة عظيمة ورسالة جليلة أوكلها الله تعالى لكل المربّين، على حسب اختلاف درجاتهم العلمية وتخصّصاتهم الشخصيّة، وإن اختلفت أديانهم ووتعدّدت عقائدهم، فإن الإسلام جعل للتربية الإسلامية عموما، وللتربية الأسرية بصفة خاصة، مكانة أعظم وأهمية أكبر، حيث جعلها فريضة دينية وسنّة حتمية، إذ تربية أنفسنا أولا ثم تربية أبنائنا، قضية اهتم بها الإسلام، فجعل منها المخرج الأكيد والحلّ الأسلم لكل المشاكل التربوية بشتى صُوَرِها وأشكالها

لذلك، وجَّه الله تعالى خطابا للمؤمنين يأمرهم فيه بوقاية أهليهم من النّار، فقال: ﴿يَاأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: 6).

أما الوقاية في هذه الآية، فيقول عليّ رضي الله عنه: أي "علّموهم وأدِّبوهم، وقال الحسن: مروهم بطاعة الله وعلّموهم الخير"[2]، أما عن ابن عباس رضي الله عنهما فقال: "اعملوا بطاعة الله واتّقوا معاصي الله، ومُروا أهليكم بالذكر يُنجيكم الله من النّار، وأما قول مجاهد: اتقوا الله وأوصوا أهليكم بتقوى الله"[3].

من هذه التفاسير نستطيع القول بأن الوقاية تكون بالتربية الصحيحة وفق منهج الله تعالى،لأن إنجاح عملية تعليم الأبناء وغرس الأخلاق الحسنة في نفوسهم وتهذيب سلوكهم، مرهون بمدى التزام الوالدين بالمبادئ الإسلامية التي تؤهلهم لدرجة المربّي المتمكّن من فهم دينه، والمتفنّن في تربية أبنائه بحكمة، تبرهن شدة حرصه على تقوى الله، مع ترك الأثر الحسن في نفوسهم، وجعلهم أبناءً صالحين في أنفسهم مصلحين في أوطانهم، ولا يتأتّى ذلك إلا بالإشراف الشخصي على تربيتهم، فكلّما عُلِّموا الأمر والنهي، وتوبعوا بالحرص على التأديب، كانت الجهود أثمر، والنجاحات أكثر.

ولذلك كانت مسؤولية الوالدين في الأسرة، تكمن في تهيئة كل الظروف المتاحة والملائمة للتربية، لمنح كل فرد فيها من الأبناء حقه في اكتساب شخصية سويّة، أساسها الحرص على نموّه نموا متوازنا وشاملا من جميع الجوانب، الجسمية والفكرية والروحية، إضافة إلى إرساء دعائم الدّين من إيمان وعقيدة .

الأسرة كما نراها اليوم:

إن التربية في وقتنا الراهن صارت عبئا ثقيلا، ومشكلة غير هيّنة قلّ من يتحمّلها، كون المربّين لم يدركوا بعد حقيقة هذه التربية وأبعادها الأخلاقية على الأفراد والمجتمع،فلم يعطوها حقها من الاهتمام اللازم بسبب كثرة الانشغالات، واتّباع الملهيات،والوقوع في المنهيات،والحيرة وسط الكمّ الهائل من المعلومات المتزايدة يوما بعد يوم، نظرا لاستجابتهم للغزو الثقافي بشتى صوره، والتقدم التكنولوجي الذي توافد علينا بطريقة سريعة، طرق من خلالها كل بيت ودخل من أوسع الأبواب، بحيث لم يستطع أحد حجبه عن الأبناء خاصّة، فكان لهذه الأسباب وغيرها تأثير كبير على الأفكار، حيث هيمنت المفاهيم السلبية أكثر على الأفعال والانفعالات، فظهرت بذلك أبشع المفاسد بأرذل الطرق في مجتمعاتنا الإسلامية لم يُعرف لها مثيل.

لذلك، لو قمنا بتشخيص الأسرة وفي ظل التغييرات المعاصرة، فإن المعطيات تُنبّئ بأمر غير الأصل الإسلامي الذي ذكرنا، إذ يغلب عليها أمورا لا تكاد تمتّ للإسلام وتعاليمه بصلة، والعجيب ألا يستنكرها الكثير من الناس، وإن استنكرها البعض فليس لهم من الأمر حيلة، والسبب الذي أدّى بهذه الأمور إلى أن تتفشّى وتنتشر بشكل سريع وملحوظ جدا، يرجع بالدرجة الأولى إلى دور الوالدين نحو الأبناء، إضافة إلى تأثير المحيط وعلاقته بذلك، والتي نذكر منها ما يأتي:

- **تهاون الكثير من الآباء في تحمّل مسؤولية التربية:** ويعود السبب في ذلك عادة، للتهافت المستمر على المادّة، مما جعل الكثير يلهث وراء متطلبات الحياة بلهفة بغية التطلّع لغد أفضل، فاعتبروا تربية الأبناء مهمة ثانوية يمكن الاستغناء عنها إلى حين انتهاء الانشغالات التي لا تنتهي،أو إمكانية تنازلهم عن هذه المسؤولية العظيمة لغيرهم،هذا الإهمال الذي عدّوه هيّنا، دفعهم للتفلّت تلقائيا من دورهم الأساسي، ليحلّ بنا ما نحن فيه الآن.

- **اتّساع الفجوة بين الأبناء والآباء:** إن انقطاع العلاقة بين أفراد الأسرة في البيت الواحد، جعل لكل من الآباء والأبناء عالمه الخاص به، فالحوار الذي يُعدّ أهمّ وسيلة وأقرب مسلك للتخاطب فيما بينهم، وأعظم لغة للتعبيرعن تبادل مشاعر الحب والثقة، لتقوية رابط الأبوّة والبنوّة، بُدِّل كل ذلك باللجوء للوسائل التكنولوجية التي يدعو التعامل معها إلى الوحدة والانفراد، الذي بدوره استحوذ على الأفكار والسلوك، فخلّف بسلبياته أعظم المشاكل التي يصعب حلّها.

- **عقوق الوالدين:** لما دفعت قلة التواصل الأسري الآباء إلى اليأس من توجيه أبنائهم وتأديبهم، كان هذا الاستسلام حافزا لبعض الأبناء في التمرّد على آبائهم، كما أن عقوقهم وخروجهم عن الطاعة دفعهم للابتعاد عن التعاليم الإسلامية، إما جهلا أو عمدا، فانحلّت بذلك أخلاقهم انحلالا بارزا جعلهم يجهرون بالسوء، ويتفاخرون به بين أقرانهم من أمثالهم، فاكتسبوا بذلك شخصية غير سويّة، جرّعوا من خلالها الأسى للآباء، وزرعوا الخوف والفساد في كل الأرجاء .

الأسرة المثالية التي نرجوها اليوم:

نحن في أمس الحاجة للعودة إلى الأسس الربّانية في بناء الأُسَرِ المثالية، وفق المعايير الإسلامية، التي من أخذ بها فقد أصاب أصحّ المسالك، ومن تركها تخبّط في الظلام الحالك، وإن تطلّعنا للتقويم والعلاج، بدافع الضغط والاحتياج، فهذا يجعلنا نعيد النظر في دور الوالدين تجاه الأبناء، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،والمرأة رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا،وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ ومسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ"[4].

يجب على الوالد المربّي أن يكون ذو حكمة في تصرفاته، وحنكة في اختيار ألفاظه، وفطنة عند إصلاح من يتولّى تربيتهم، لقول المربّي الأعظم ﷺ: "أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ"[5]، وقال: "لَأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ، خَيرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ"[6]، وقال أيضا: "مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نحْلٍ أَفْضَلُ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ"[7].

لذلك، فلو اهتمّ الوالدان بتنمية الجوانب النفسية والفكرية والروحية والسلوكية لإبنهم، لنما هذا الإبن ونشأ نشأة صالحة، وإن أهملاه وضيّعاه تربويا، فقد ظلماه وظلما نفسيهما، لأن من أكثر ما يُسعِد الإنسان ويُشعره بالفخر والاعتزاز وإن كان مُعدَما، صلاح أبنائه وإصلاحهم، وإنّ من أكثر ما يحزنه وينكسه، وإن ملَك الدنيا، فساد أبنائه وشقوتهم، إذ لا كسب يكسبه الإنسان في حياته وبعد مماته أعظم من صلاح أبنائه، وإن في هذا تحفيز للآباء على تربية أبنائهم، ودعوة لهم للصبر والتصبّر على إصلاحهم، كونهم مدعاة للنفع والخير في الدنيا والآخرة .

وعلى هذا الأساس، كان لزاما على الوالدين إعداد الإبن إعدادا يمكّنه من العمل وفق المبادئ الإسلامية، ليكون رجل المستقبل المُعَوَّل عليه في الشدائد، كما يجب إعداد الإبنة أيضا داخل الأسرة، إعدادا يُؤهّلها لتكون أمّا مثالية في المستقبل، وهذا ما سنبيّنه من تربية الإبن المثالي، والأمّ المثالية، كما يأتي:

إعداد الإبن المثالي:

إذا عدنا لكتاب الله تعالى وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم، نجد بأن من أبرز معالم التربية الموصى بها لإنجاح العملية التربوية من الطفولة إلى البلوغ، والتيتُكسِب الأبناء حصانة دينية وشخصية سليمة سويّة، هي الصلاة، لقول الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت: 45).

كما قال الله في بيان دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (إبراهيم: 4)، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَ كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (مريم: 54-55)، وقوله تعالى في بيان تعليم لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: 17)، وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه: 132).

كما ورد عن النبيّ ﷺ، حديثا يأمر فيه الوالدين بتعليم أبنائهم الصلاة، فقال: "مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ [سنين]، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ"[8].

كما يقول أحد علماء السلف الصالح، (لاعب ابنك سبعا، وأدّبه سبعا، وصاحبه سبعا أوكما جاء بلفظ (آخه سبعا)، ثم ألق حبله على غاربه) [9].

من خلال الحديث النبويّ السابق في الأمر بتعليم الصلاة، إضافة إلى الأخذ بالقول السابق لأحد العلماء، نستطيع التركيز على ثلاث عناصر مهمة، نرى بأن توظيفها في العملية التربوية، وفي ظل التحوّلات الراهنة، يضفي على التربية طابع التجديد، الذي نستطيع من خلاله استدراك ما فات، وتحقيق ما هو آت، إضافة إلى تحقيق أنجح النتائج، وأطيب الآثار المرجوة، كما يأتي:

أ/ الملاعبة سبع سنين: في هذه المرحلة، يستوفي الطفل حقّه من اللعب بدون تكليف، ولكن إذا لامس الإدراك والتمييز عقله، بدأ المربي في بيان النافع والضارّ له، بتفنّن وبطريقة سلسة من حيث لا يشعر، لتُبَثّ فيه روح القيم الممزوجة بتعاليم الدّين بالتدريج، حتى إذا بلغ سبع سنين عُلِّم الصلاة، كونها عماد الدين.

ب/ التأديب سبع سنين: إن الحكمة من ضرب الإبن تأديبا له في هذه المرحلة بالذات، هي كونها الأنسب لسنّه وقد بدأ الوعي يدبّ في نفسه، وحقيقة الإدراك تسري في عقله، وأنه بين مرحلتين، مرحلة الطفولة التي لا يصحّ في حقّها

الضرب، نظرا لصغر السنّ وقلّة العقل، ومرحلة الشباب الذي يبعث على استحياء المربّي من ضربه، إلا أن

التأديب بالضرب غير المبرح في هذه المرحلة، لم يُشَرَّع لإلحاق الضرر بالأبناء أو الانتقام منهم، وإنما الغاية منه هي الالتزام بما يُوَجَّه إليهم، يقول بعضهم: "ليس معنى هذا أن تكون وحشا كاسرا، وإنما المراد ألا تكون متساهلا في تربيتهم بالصورة التي تفقدك مكانتك بينهم كمسؤول عنهم وراع لهم، فقد يؤدّي هذا التساهل إلى عصيانك وعدم الاستجابة لمطالبك، وإهمال أوامرك وارتكاب نواهيك، ولهذا كان ولا بدّ أن تنفّذ قول القائل:

فقسا ليزدجروا ومن يك راحما فليقس أحيانا على من يرحم"[10].

فيا أيها المربّي "لا تكن متساهلا في تطبيق تعاليم الإسلام عليهم، وليكن أهمّ شيء تركّز عليه هو الصلاة، ستوفّر عليك مجهودا كبيرا في تربيتهم تربية سليمة، لأنهم إذا تعوّدوا عليها في الصغر، حافظوا عليها في الكِبَر، فكانت وقاية لهم من الفحشاء والمنكر... واحرص على أن تكون قدوة صالحة لأبنائك حتى يتشبّهوا بك، وإيّاك أن تكون قدوة سيّئة لهم فتخسر كل شيء"[11].

وإن في ذلك إشارة إلى مراعاة المراهق والاهتمام به، بحيث أصبح اليوم في تربيتنا الحديثة، لا يُؤَدَّب ولا يُزجَر، بدعوى تركه حتى يتخطّى سن المراهقة، ولكننا تغافلنا عن أهمّ أمر، وهو أن العود إذا يبس صعب التواؤه، وقد ينكسر فلا يُصْلَح، وتعاطفنا في حين لا يجب علينا أن نتعاطف.

ج/ المصاحبة سبع سنين: أي مرحلة الشباب، إذ في هذه السنّ، يجب على الآباء مصاحبة أبنائهم،والتقرّب منهم أكثر، برابط الحوار الممزوج بالرحمة واللّين، والاهتمام الأبويّ المبني على المراقبة المستمرة، وهذا مايبعث في نفس الأبناء طمأنينة وثقة بوالديهم، تدفعهم للبوح لهم بكل المكنونات والأسرار، والمشاكل والأخبار، دون وجل أو خوف من تعنيف أو توبيخ، منتظرين بذلك العون والنصيحة، وما ذلك إلا وقاية لهم من أصحاب السوء، وسدّ باب الانفراد بعالم التكنولوجيا الذي ضيّع بسلبياته الكثير من الأبناء، يقول الله تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لِنت لهم ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكّل على الله إن الله يحبّ المتوكّلين﴾ (آل عمران: 159).

فرحمة الآباء في البحث عن مصلحة أبنائهم، تبعث على الاهتمام بهم، والالتفات إليهم والعدل بينهم، والعفو عن أخطائهم وزلاّتهم، واستشارتهم وإقحامهم في

بعض الأمور لتثبيت رابطة التواصل بينهم، ولتقوية شخصيتهم، وتنمية روح المسؤولية والإقدام في نفوسهم، وفكّ عُقَدِ الخوف والكبت عندهم .

تربية الأمّ المثالية:

إن الأمّة الإسلامية اليوم بحاجة إلى امرأة تُحسّ بأمومتها وواجبها نحو أبنائها، لتصنع جيلا حكيما وقويا يأخذ بيد أمته نحو العلياء، امرأة لا ترى أن مكثها في بيتها لتربية أبنائها قهرا لها أو تعسّفا في حقها، "عن أنس رضي الله عنه، قال: جئن النساء إلى رسول ﷺ، فقلن: يا رسول الله، ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى، فما لنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: "من قعد -أو كلمة نحوها- منكنّ في بيتها، فإنّها تدرك عمل المجاهد في سبيل الله"[12]، وأن ما أعطاها الإسلام من حق بما يوافق طبيعتها، ليس سلبا لحريتها بل تكريما لها، وصونها من كل استغلال غربي هادف يريد تجريدها من أنوثتها وفطرتها، لأن المرأة الصالحة محضن الجيل الإسلامي الذي يُعد الأساس في بناء الأمة الإسلامية وإعلاء رايتها، وإن إخلالها بمسؤولية عظيمة كهذه، يُعدّ ضربا للأمّة في أساس بنائها، وهم شباب الأمة وعمادها، إذ لا سبيل للغرب في مواجهة أمّة كهذه، إلا عن طريق ضرب المرأة في دينها وأخلاقها،لتخدير عقول أبنائها وقيمهم،ومن تتمتع بالاحترام الكبير في بيتها ومن أبنائها وزوجها، كفيلة بتنشئة الجيل المنشود،الذي تؤهله نحو الأفضل بدينها وثقافتها وحسن خُلُقها وإن لم تكن عاملة، وهذا ما أشار إليه العلاّمة ابن باديس - رحمه الله - بقوله: "إننا لا نريد المرأة التي تطير، بل نريد من المرأة أن تنجب لنا طيّارا"[13].

كما قال أيضا بعض الشعراء[14] أبياتا شعرية في هذا المقام، جاء فيها:

هـــي الأخلاق تنبت كالنبات ... إذا سُقيت بماء المكرمات
تقوم إذا تعهَّدها المـــربّي ... على ساق الفضيلة مثمرات
ولم أر للخلائق من محــلّ ... يهــذّبها كحضـــن الأمّهات
فحضن الأمّ مدرسة تسامت ... لتربية البنيـن أو البنـــات
وأخلاق الوليد تُقاس حُسنا ... بأخـــلاق النســاء الوالـدات
فكيـف تظـنّ بالأبنـاء خيـرا ... إذا نشـأوا بحضن الجاهـلات

وأخيرا، نخلص إلى أن الإصلاح التربوي يبدأ من الأسرة، كونها النواة الأولى في صناعة الشخصيات السوية للأفراد، الذين بدورهم يساهمون في بناء أمّتهم وحضارتهم، بدينهم وقيمهم، وعلمهم وعملهم، ولا يتأتّى ذلك إلا بإتقان الوالدين

خاصة لدورهم التربوي في قيامهم بمسؤولياتهم حيال ذلك، وهذا ما يُحدث التغييرات الإيجابية، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات،لإنشاء الجيل المرغوب فيه، والمعوّل عليه في بناء الوطن والأمّة.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- بدائع التفسير، الجامع لما فسّره الإمام ابن قيّم الجوزيّة، جمعه وخرّج أحاديثه: يسري السيّد محمد، راجعه ونسّق مادته ورتّبها: صالح أحمد الشامي، دار ابن الجوزي، ط1، 1427ه.
- التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ.د/ حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع، المدينة المنوّرة، ط1، 1420ه-1999م.
- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل ابن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفى السيّد محمد، محمد السيّد رشاد، محمد فضل العجماوي، علي أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر، جيزة، ط1، 1421ه-2000م.
- الجامع الصحيح، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محبّ الدّين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ط1، 1400هـ.
- الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي، ط1، 1382ه- 1962م .
- دراسات في الإسلام، أحاديث إلى الشباب (عن العقيدة والنفس والحياة) في ضوء الإسلام، للأستاذ: أنور الجندي، يصدرها:المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، العدد 165، يشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضة، 1394ه-1974م.
- رسالة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،للأستاذ:محمد بو مشرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والإصلاحية في الجزائر، 1889م– 1940م.
- سنن ابن ماجة، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة، حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه: د. بشار عوّاد معروف، دار الجيل للنشر، ط1، 1418ه- 1998م .
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان السجستاني، ومعه كتاب معالم السنن للخطابي، إعداد وتعليق عزّت عبيد وعادل السيّد، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1418ه/1797م.
- صحيح مسلم، المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن، بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج، خدمة وعناية: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1427ه-2006م .
- من وصايا الرسول ﷺ، شرح وتعليق: طه عبد الله العفيفي، دار التراث العربي، القاهرة، د.ط، 1401ه_1981م.

- معروف الرصافي على موقع أدب، الموسوعة العالمية للشعر العربي، رقم القصيدة: 19507.

الهوامش:

[1]- دراسات في الإسلام، أحاديث إلى الشباب (عن العقيدة والنفس والحياة) في ضوء الإسلام للأستاذ: أنور الجندي، يصدرها: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، العدد 165، يشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضة، 1394ه_1974م، ص15، 17 .

[2]- بدائع التفسير، الجامع لما فسّره الإمام ابن قّم الجوزيّة، جمعه وخرّج أحاديثه: يسري السيّد محمد، راجعه ونسّق مادته ورتّبها: صالح أحمد الشامي، دار ابن الجوزي، ط1، 1427ه، 167/3.

[3]- التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ.د/ حكمت بن بشير ابن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع، المدينة المنوّرة، ط1، 1420ه-1999م، 510/4.

[4]- أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب: الجمعة، باب: 11، 284/1، 285 ، ح893 وكتاب: الاستقراض، باب: 20، 178/2، ح2409 ، وكتاب: الوصايا، باب: 9، 290/2، ح2751، وكتاب: العتق، باب:17، 222/2، ح2554، وباب:19، ح2558، نفس الصفحة وكتاب النكاح،باب:81، 383/3، ح5188، وباب:90، 389/3، ح5200، وكتاب:الأحكام، باب:1، 328/4، ح7138، ومسلم في صحيحه، كتاب:الإمارة، باب:5، ح20، 886/2. وأبو داود في سننه، كتاب:الإمارة، باب:1، 231/3، ح2928، والترمذي في الجامع الكبير، كتاب: الجهاد، باب: 27، ح1705 . راوي الحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

[5]- أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب:الأدب، باب: 3، 257/5، ح3671 ، راوي الحديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

[6]- أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح،كتاب:البرّ والصلة، باب:33، 337/4، ح1951، راوي الحديث جابر بن سمرة رضي الله عنه، ومسند أحمد 96/5، 103 .

[7]- أخرجه الترمذي في جامعه الصحيح، كتاب: البر والصلة،باب:33، 338/4،ح1952، راوي الحديث أيوب بن موسى رضي الله عنه، ومسند أحمد 412/3، 77/4، 78 .

[8]- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: 26، ح495، 239/1، راوي الحديث عمرو بن شعيب رضي الله عنه .

[9] - هذا القول مروي عن بعض السلف، إذ لا أصل له في الكتب الستّة.

[10]- من وصايا الرسول ﷺ، شرح وتعليق: طه عبد الله العفيفي، دار التراث العربي، القاهرة، د.ط،1401ه-1981م، 141/1 .

[11]- المرجع السابق، 143/1 .

[12]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 150/11، 151.

[13]- الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والإصلاحية في الجزائر 1889م – 1940م، رسالة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، للأستاذ: محمد بو مشرة.

[14]- هذه الأبيات لمعروف الرصافي، على موقع أدب، الموسوعة العالمية للشعر العربي، رقم القصيدة: 19507 .